DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

دور الأمويين في مواجهة البيزنطيين

Hussein Ali Mahafzah
Al Balqa Applied University – Jordan
hussainmahafzah@gmail.com
Naskah diterima: 31-10-2016, direvisi: 20-1-2017, disetujui: 23-1-2017

Abstract

This study amis to discuss the role of the Ummayads in meeting the Byzantins militarily in terms of their role to open the levant and its management on the one hand and the establishment of their state and the evolution of its conflict with the Byzantines on the other hand. First the practice of defense policy and secondly attack. Then switch to planned defense plans to suit the conditions and circumistances. The study has concluded that there is distinct military pivotal role at the Ummayad Caliphs in their struggle with the Byzantines. The current academic considered this a superiority in the light of what has preceded and followed it.

Keywords: Ummayads, Byzantins, military pivotal

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة دور الأمويين في مواجهة البيزنطيين عسكرياً من حيث دورهم بفتح بلاد الشام و إدارتها من جهة، وقيام دولتهم وتطور صراعها مع البيزنطيين من جهة أخرى؛ وممارسة سياسية الدفاع أولاً، والهجوم ثانياً، ثم التحول للدفاع بخطط مدروسة بما يناسب الأحوال والظروف. وخلصت هذه الدراسة إلى أن هنالك دوراً محورياً متميزاً عسكرياً لدى الخلفاء الأمويين في صراعهم ضدّ البيزنطيين وعدّهُ الدارس الحالي أنه تفوق في ظل ما سبقه وما بعده.

المقدمة:

لعب الأمويون دوراً مركزياً وهاماً في مواجهة البيزنطيين عسكرياً، وتركوا أثراً عميقاً في تثبيت دعائم الدولة العربية الإسلامية الناشئة وحمايتها، وكانت السمة الأساسية التي ميزتهم عن الخلفاء السابقين أو اللاحقين هي ريادتهم في تبني سياسة توسيع حركة الفتوحات لتبلغ أقصى مدى عرفته في تاريخها.

وتحت تأثير الإحساس بالمسؤولية عن هذه السياسة تولدت طموحاتهم العسكرية ضد الدولة البيزنطية المعادية، وهي بحسب رأي أحد الدارسين المحدثين ((لم تكن ترضى بشيء دون فتح القسطنطينية وجعلها مركزاً للأسرة الحاكمة))[1]

وعلى الرغم من إخفاق هذا الحلم إلا أن الأمويين حافظوا على تفوقهم في الصراع ضد البزنطيين بالحرب بفضل السياسات الدفاعية والهجومية التي اتخذوها من جهة، وإشرافهم المباشر على تنفيذها وقيادتهم لغالبية المعارك التي خاضتها جيوشهم على الجبهة البيزنطية بخاصة من جهة أخرى. وعلى ذلك أرسو تقليداً للخلفاء من بعدهم؛ لذلك عُدت الفترة الأموية من أهم الحقب في تاريخ الصراع العربي البيزنطي. ومن هنا جاءت هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على أهم الأدوار التي قام بها الأمويون خلفاء وأمراء بوصفة واحداً من أهم الموضوعات قوة وتأثيراً في تاريخ صدر الإسلام. ولتحقيق ذلك جاءت هذه الدراسة لتشمل النقاط الآتية:

1_ دور الأمويين بفتح الشام وإدارتها.

2_ قيام الدولة الأموية وتطور الصراع ضد البيزنطيين.

3_ التأرجح بين الدفاع والهجوم.

4_ الخطط الدافعية للخلفاء الأمويين المتأخرين.

إضافة إلى المقدمة والخاتمة لتوضيح بعض الاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة.

أولاً : دور الأمويين بفتح بلاد الشام وإدارتها

قبل أن يدخل البحث في نطاق الفترة الأموية يرى الباحث الحالي من المفيد الحديث عن دور الأمويين بفتح بلاد الشام و إدارتها لأهميته في تطوير خطط مواجهة البيزنطيين في العهد الراشدي من جهة، والتمهيد لقيام الدولة الأموية من جهة أخرى .

[1] جب، هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس و آخرون، ط 3، دار العلم للملايين ، بيروت، 1979، ص 77 .

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

ومن دراسة روايات بعض المصادر التي أرّخت للفتوحات مثل: اليعقوبي (ت 292 هـ / 905م)[2] والبلاذري (ت 279 هـ / 892 م)[3] والطبري (ت 310 هـ / 922 م)[4] يتبين أنها انطلقت أواخر عام (12 هـ / 633م) وكانت أربعة جيوش كلفت بفتح أربع مناطق عرفت بالأجناد،[5] وقاد أحدها يزيد بن أبي سفيان (ت 18 هـ / 639 م) يساعده بذلك أخوه معاوية بن أبي سفيان (41_ 60 هـ / 661 هـ _ 679 م).[6]

وتذكر الروايات أن جيش يزيد المكلف بفتح جند دمشق وإدارته شارك بقية جيوش الفتح بالمعارك التي خاضتها مثل: معركة أجنادين (13 هـ / 634 م)، وفحل (13 هـ / 634 م)، واليرموك (15 هـ/636 م)[7]، كما شارك بفتح المدن الشامية الداخلية والساحلية ؛ إلا أنه توفي بمرض الطاعون المشهور بطاعون عمواس عام (18 هـ /639 م)[8]، فعين عمر بن الخطاب (13_23 هـ / 634_ 643 م) معاوية خلفاً ليزيد، ويبدو أن عمر وسّع مهام معاوية لتشمل إدارة جند الأردن واستكمال فتح المدن الساحلية وحمايتها مثل: (عسقلان) التي فتحها عام (19 هـ/ 640 م) .[9]

والجدير بالذكر أن حدود الدولة العربية الإسلامية أصبحت بعد تحرير بلاد الشام والجزيرة الفراتية تمتد من أعالي نهر الفرات في الشمال الشرقي من بلاد الشام إلى جنوبها الغربي عند رفح

---

[2] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292 هـ / 905 م) : تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ب ت، م 2 ، ص 133.

[3] البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279 هـ / 892 م)، فتوح البلدان، مراجعة وتحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 115.

[4] الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 5 ، دار المعارف، القاهرة ، 1977 ، ج 3 ، ص 387.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 154، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت 182 هـ / 798 م): الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979 ، ص 39، ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626 / 1218 م): معجم البلدان، ط 2، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1984 ، م 2 ، ص103 .

[6] البلاذري، المصدر السابق، ص 146 ، الطبري، المصدر السابق، ج 3 ، ص 144 .

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 134_141، البلاذري، المصدر السابق، ص121

[8] المصدر نفسه، م 2 ، ص 155 .

[9] البلاذري، المصدر السابق، ص 146 ، الطبري، المصدر السابق، ج 3 ، ص 144 قدامة بن جعفر(ت 328 هـ / 940 م): الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، 1981،ص 295.

قرب العريش على الحدود مع مصر.[10] وأطلق المسلمون على المناطق المتاخمة للحدود البيزنطية اسم (الثغور) وقسّمتها غالبية المصادر التاريخية والجغرافية[11] إلى قسمين هما: الثغور الشامية، وهي المناطق الواقعة غربي نهر الفرات وتقابل السفوح الشرقية لجبال طوروس، وتمتد بامتدادها إلى الشمال الغربي من أنطاكية، وتشمل المناطق الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتعرف مدنها وتحصيناتها بالثغور الساحلية .[12] أما الثغور الجزرية، فهي المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الفرات، وتقابل الهضبة الأرمينية وجبالها.[13]

ولعل هذا الامتداد الطويل للحدود طرح على الخلافة مشكلة مواجهة الخطر البيزنطيوكيفية حماية حدود دولتها، لا سيما أن الهجمات البيزنطية المفاجئة جاءت من الاتجاهينالبري والبحري، وكانت خطة عمر لحماية الحدود تقوم على عدة إجراءات أهمها :

1_ إعادة تحصين المدن الساحلية والبرية بترميم أسوارها وحصونها ووضع المناظير والمواقيد عليها لإنذار القوات المتجمعة بالمناطق الداخلية للتحرك بسرعة كي تقدم النجدة .[14]

2_ وضع حاميات عسكرية قوية من الجند النظامين والمتطوعين وإمدادهم بما يلزمهم من الأعطيات لنفقاتهم وإقامتهم في المنازل الخالية للعيش فيها بشكل دائ .[15]

3_ تسيير حملات الغزو البرية لاختراق الحدود البيزنطية على مدار العام، وهي الحملات المشهورة بالصوائف والشواتي،[16] ويرجح أن بدايتها كانت بعد عام (20 هـ / 640 م) وهي سنة تأسيس ديوان الجند أو العطاء، التي شهدت توسع غير مسبوق بسياسة الفتوح.[17]

---

[10] لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 160.

[11] الأصطخري، إبراهيم بن محمد (ت 321 هـ / 933 م): مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ب ت، ص 62 ، إبن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367. هـ / 977 م): صورة الأرض، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص 165.

[12] لسترنج، المصدر السابق، ص 160 حتي، فيليب وآخرون: تاريخ العرب، ط 7، دار غندور للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص 259.

[13] البلاذري، المصدر السابق، ص 133 _ 134

[14] المصدر نفسه، ص 134.

[15] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 155.

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

لكن هذا النظام لم يكن قادراً على ردع البيزنطيين بنظر معاوية الذي طلب إلى عمر السماح له بغزو البحر لمواجهة الأسطول البيزنطي وتدمير قواعده في الجزر القريبة، مثل: (قبرص) إلا أن عمر لم يأذن له [18]؛ حرصاً على حياة المقاتلين المسلمين لقلة خبرتهم بركوب البحر ومنعاً لوقوع أخطاء قد تكون قاتلة استناداً إلى تجارب فاشلة ارتكبها بعض القادة في مياه البحرين (الخليج العربي) والبحر الأحمر.[19]

ويبدو أن هذه الخطة استمرت إلى عهد عثمان إلى أن استطاع معاوية إقناعه بغزو البحر بالموافقة على شروط اشترطها[20] وهي:

1_ أن يكون غزاة البحر مقاتلين متطوعين أو مخيّرين غير مجبرين.

2_ أن يتولى معاوية قيادة الحملة بنفسه وأسرته .

وتشعر روايات بعض المصادر أن معاوية أتم بناء أول إسطول إسلامي في ميناء(عكا) التي انطلقت منها الحملة البحرية الأولى عام (28 هـ / 648 م) بقيادة معاوية وزوجته فاختة بنت قرظة وعدد من كبار الصحابة وزوجاتهم،[21] وقدّر ابن أعثم الكوفي[22] عدد المراكب بـ (120) مركباً بحرياً، وقد نجحت الحملة بفرض السيطرة على سواحل الجزيرة مما اضطر أهلها إلى قبول شروط

[16] المصدر نفسه، م2 ، ص 155، البلاذري، المصدر السابق، ص 137-138، 140، 426، الطبري المصدر السابق، ج 4، ص 64 – 65.

[17] قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص 306.

[18] اليعقوبي، المصدر السابق، م 2، ص 155 – 156، الطبري، المصدر السابق، ج 4،ص 157.

[19] البلاذري، المصدر السابق، ص 157 ، الطبري، المصدر السابق، ج 4 ، ص 258 .

[20] المصدر نفسه، ص 124، 158 ، الطبري، المصدر السابق، ج 4 ، ص 258 .

[21] ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن علي (ت 314 هـ / 926 م) ، الفتوح ، ط 1 ، دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ب ت ، ج 2 ، ص 119 .

[22] البلاذري، المصدر السابق، ص 158 ، الطبري، المصدر السابق، ج 4 ، ص 262 .

الصلح[23] مع المسلمين ودفعوا بموجبه الجزية، وتعهدوا بالوقوف على الحياد في الصراع مع البيزنطيين وإخبار المسلمين بحركاته العدوانية.

وأدى النجاح في البحر إلى تكرار الغزوات في الأعوام التالية، وتمكّن الأسطول الإسلامي من فتح جزيرة (أرواد) الواقعة قبالة(طرطوس) و (قبرص) و (رودس) و (صقلية) و(كريت) في عرض البحر،[24] وتوجت الغزوات البحرية بالنصر المؤزر بمعركة (ذات الصواري) المشهورة عام (34 هـ / 654 م)،[25] التي حطمت معظم مراكب الأسطول البيزنطي، وشلّت قدرته على الحركة لسنوات طويلة، وعُدت من المعارك الفاصلة التي قلبت موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط لصالح المسلمين.[26]

ويمكن القول إن نجاح معاوية عسكرياً في غزو البحر، وضرب الأسطول البيزنطي، وفتح الجزر البحرية أرسى المقدمات العملية لاستقرار المدن الساحلية الشامية فضلاً عن المصرية، كما حفزّ معاوية على الاستمرار بتبني خطته الهجومية البحرية والبرية؛ لتحقيق كل أهدافها التي ستتضح بعد وصوله إلى منصب الخلافة.

ثانياً : قيام الدولة الأموية

ستمرت الحرب على الجبهة البيزنطية دونما انقطاع في ظل ولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام ، وقد اضطر إلى مهادنة البيزنطيين إبان الفتنة[27] والحرب الأهلية بينه وعلي بن أبي طالب

[23] المصدر نفسه، ص 158 .

[24] المصدر نفسه، ص 237 ، الطبري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 290 ، المقريزي ، أحمد بن علي(ت 845هـ /1441 م) : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه أيمن فؤاد، مؤسسة التراث الإسلامي، لندن، 2002 ،م 1 ، ص 458.

[25] لويس، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة 1960 ، ص 108 ، 115 ، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، دار الكتاب العربي، مصر ، 1967 ، ص 84 .

[26] حول أحداث الفتنة و ظروفها وأبعادها يفضل العودة إلى: المقري، نصر بن مزاحم (ت 212 هـ / 827 م) : وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2 ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1962، جعيط، هشام: الفتنة ، جدلية الدين والسياسة ، ترجمة خليل أحمد خليل، ط 4 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 2000 م.

[27] اليعقوبي، المصدر السابق، م 2 ، ص 239 _ 240 .

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

(35 _ 40 هـ / 655 _ 660 م)، حيث انصرف إلى معالجة هذه الأزمة بكل جهوده، فعقد هدنة مع الدولة البيزنطية، خشية اغتنامها الفرصة والقيام بالهجوم على الشام، وما أن فرغ من أحداث المشاكل الداخلية التي انتهت بإعلان خلافته عام (41 هـ / 661 م)[28] حتى نقض الهدنة، وعاود نشاطه العسكري المعتاد منذ ولايته على الشام، وقام بتقوية جيوشه لأجل مهمات أكبر.

وأهم ما يميز العلاقات العسكرية مع البيزنطيين في خلافة معاوية الحملة الكبرى التي سيرها لفتح القسطنطينية بقيادة ابنه يزيد (60 _ 64 هـ / 679 _ 683 م)، عام (49 هـ/ 669 م)، وقد ضمت بين صفوفها بعض كبار الصحابة أو أبنائهم أمثال: أبي أيوب الأنصاري (خالد بن زيد)، الذي استشهد، ودفن بالقرب من أسوارها، وأصبح رمزاً للشهادة من أجل فتحها.[29] وعلى الرغم من تمكن الحملة من حصار القسطنطينية إلا أنها لم تتمكن من فتحها لأسباب تُعزى إلى مناعتها وقوة تحصيناتها، لكنها احيت الأمل لدى المسلمين بإمكانية فتحها مستقبلاً.[30]

وتجدر الإشارة إلى أن معاوية عزز دفاعات مدن الثغور البرية والساحلية بتحصينها وزيادة حامياتها، وتكثير سكانها بجلب أعداد من سكان المدن الداخلية وتوطينهم فيها مثل: الفرس والزط واليهود،[31] وربما كان لهؤلاء دور بصناعة مراكب الأسطول الإسلامي، والعمل بالمهن المختلفة، وربما أراد معاوية إحداث نوع من التوازن مع بعض الجماعات مثل (الجراجمة)[32] القاطنين في الجبال شمال غرب أنطاكية، الذين ظلوا على اتصال وولاء للبيزنطيين.

---

[28] المصدر نفسه، م 2 ، ص 299 ، 230 ، المسعودي، علي بن الحسين (ت 346 هـ / 957 م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، ب ت ، ج 3 ، ص 33 ، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (ت 597 هـ / 1201 م): صفة الصفوة ، حققه: محمود فاخوري ، ط 4، دار المعرفة، بيروت، 1986 ، م 1 ، ص 468 .

[29] حتي: المصدر السابق ، ص 262 .

[30] البلاذري، مصدر السابق ، ص 153 ، 368 _ 369 .

[31] البلاذري ، المصدر السابق ، ص 163 _ 168 .

[32] خليفة بن خياط (ت 240 هـ / 854 م): تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط 2 ، دار القلم، دمشق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1977 ، ص 230 .

ويمكن القول إن معاوية أولى جلّ عنايته للحرب ضد الدولة البيزنطية معتبراً إياها العدو الأخطر للإسلام و المسلمين، الذي يقضي الواجب قهرها وإسقاط عاصمتها، وهو الأمر الذي سعى لتحقيقه طوال خلافته ، ودعا إلى التمسك به هدفاً للخلفاء من بعده ، إذ أوصى قبيل وفاته عام (60 هـ / 679 م)، قائلاً: ((شدّوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم)).[33]

ثالثاً: التأرجح بين الدفاع والهجوم (من خلافة يزيد إلى نهاية خلافة سليمان بن عبد الملك)

منذ بداية خلافة يزيد عام (60 هـ / 679 م) وحتى أواسط خلافة عبد الملك (65_ 86 هـ/ 684 _ 705 م)، تقريباً تخلى الخلفاء الأمويون عن سياسية الهجوم، واعتمدوا مبدأ الدفاع أمام البيزنطيين؛ بسبب المشاكل الداخلية والانقسام حول الخلافة، ويبدو أن يزيد أتخذ خطة دفاعية على الجبهة البيزنطية منذ بداية خلافته، التي تعرضت للاهتزاز؛ من هنا تشير بعض الروايات أنه أمر بسحب القوات المرابطة في الجزر البحرية مثل: قبرص و رودس وغيرهما.[34]

كما أمر بإعادة تشكيل خط الدفاع عن مدن الثغور البرية الشمالية بفصل بعض المناطق عن جند حمص، وجعلها جنداً مستقلاً بذاته تكون قاعدته (قنسرين) ويسمى باسمها.[35] لمواجهة أي هجوم مفاجئ قد تشنه القوات البيزنطية المتمركزة خلف جبال طوروس مستغلة انشغال المسلمين بالأحداث الداخلية.

ومع استمرار حالة عدم الاستقرار الداخلية اضطر عبد الملك الذي تولى الخلافة عام (65 هـ / 684 م) إلى عقد هدنة مع البيزنطيين حوالي عام (69 هـ /688 م)؛ لانشغاله بأزمة الخلافة، وبعد

[33] قدامة بن جعفر، المصدر السابق ، ص 299 ابن العديم ، عمر بن أحمد (ت 660 هـ / 1261 م) : بغية الطلب في معرفة تاريخ حلب ، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ، 1988 ، ص 302 .

[34] اليعقوبي، المصدر السابق ، م 2 ، ص 281 ، البلاذري ، المصدر السابق ، ص 164 ، قدامة بن جعفر ،المصدر السابق ، ص 302 .

[35] المصدر نفسة، م2 ، ص 164 .

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

وقوع غارات شنها الجيش البيزنطي على بعض المدن الساحلية مثل: قيسارية وعسقلان، وتحريضهم للجراجمة أو المردة على إثارة الفوضى في مناطق سكناهم في جبال اللكام المتصلة بأنطاكية وطرابلس.[36] ولكنه تخلى عن الهدنة بعد عام (73 هـ / 692 م)، وأعاد إعمار المدن، التي تعرضت للتخريب، وشرع بإرسال الحملات لغزو الأراضي البيزنطية.[37] وبرز زمن عبدالملك ابنه عبدالله (ت 86 هـ / 705 م)، الذي قاد العمليات على الجبهة البرية، وتذكر الروايات أنه قام بتعزيز تحصينات المناطق الساحلية الواقعة على ساحل البحر إلى الشمال الغربي من أنطاكية، فبنى حصن (المصّيصَة) الواقعة على الضفة الغربية لنهر جيحان قرب مصبه في البحر الأبيض المتوسط،[38] و أرّخ البلاذري[39] بناء الحصن، وتأسيسه عام (84 هـ / 703 م)، وقدّر عدد القوات التي رابطت فيه بثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس والشدة. كما قوّى الحاميات في حصن (طرندة) غربي (ملطيّة) لمراقبة الطرق المؤدية إليها من غربي جبال طوروس وحمايتها.[40]

وتبدو إجراءات عبدالله الدفاعية الأولى من نوعها، إذ كانت المناطق الممتدة من أنطاكية إلى (طرَسْوسَ) خالية من التحصينات؛ بسبب تدميرها من أيام الفتوح الأولى كي لا تتخذها القوات البيزنطية مراكز انطلاق لشن الغارات على الثغور الإسلامية.[41]

واشتد الصراع مع البيزنطيين منذ تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة (86_96 هـ/ 705_714 م)، الذي أخذ على عاتقه توسيع حركة الفتوحات على كل الجبهات إلى أقصى مدى ممكن،[42] فقد هاجمت الفرق الإسلامية معظم مناطق الأناضول، وتمكنت من فتح حصون وقلاع كثيرة مثل:

---

[36] المصدر نفسة، م2 ، ص 282 ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م5 ، ص 144 .

[37] البلاذري، المصدر السابق ، ص 169

[38] المصدر نفسه، 191 .

[39] المصدر نفسه، 188 ، 200 ، لسترانج ، المصدر السابق ، ص 169 .

[40] اليعقوبي، المصدر السابق ، م2 ، ص 283 .

[41] المصدر نفسه، م2 ، ص 292 ، الطبري ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 429 .

[42] السترنخ ، المصدر السابق، ص 164 ، 166 ، حتي ، المصدر السابق ، ص 260 .

(طوانة) و(أذرولية) و(غزالة) و (خنجرة) و(هرقلة) وغيرها[43] مِن المواقع المنتشرة على امتداد الطرق المؤدية إلى وسط وغرب هضبة الأناضول.[44] كما أمر الأسطول الإسلامي بمهاجمة قبرص وأعاد فتحها عنوة عام (95 هـ / 714 م)،[45] وذكرت بعض الروايات أن الوليد أمر بتحصين المناطق الممتدة على طول الساحل بين أنطاكية وطرَسُوس ببناء حصون جديدة مثل: حصن(سلوقية) و(بغراس) وغيرهما ،[46] ووطّن أعداداً كبيرةً من (الزط) المجلوبين من السند في تلك المناطق، ويبدو أنهم عملوا في الزراعة وتربية المواشي حول الحصون والمدن الثغرية فكّونوا محالاً عرفت بهم مثل : محلة الزط بأنطاكية، و (حي الخصوص) بالقرب من المَصيّصةَ، الذي أصبح ربضاً كبيراً أواخر العهد الأموي،[47] وتشير روايات أخرى أن جماعات من النبط والفرس والصقالبة وطّنوا بالقرب من المناطق السابقة الذكر.[48]

وفي المقابل يلاحظ أن سياسة الوليد الهجومية لم تحل دون قيام البيزنطيين بشن الغارات المفاجئة على مدن الثغور، وهذا يدل على أن القوات البيزنطية لم تفقد قدرتها على القيام بهجمات مضادة وخطيرة مثلما حدث بداية خلافة سليمان بن عبد الملك عام (96_99 هـ / 714_717 م)، حيث شنّ الأسطول البيزنطي غارة على(اللاذقية) دمّر معظم مبانيها وأحرقها؛[49] مما أثار غضب سليمان، وأقسم أن يغزو القسطنطينية ويدمرها.[50]

فأرسل حملته المشهورة لتحاصرها براً وبحراً عام (98 هـ / 716 م)، إلا أنها لم تتمكن من فتحها، لأسباب تتعلق بمناعة موقعها، وظروفها المناخية القاسية، واستخدام النار الإغريقية،

[43] اليعقوبي، المصدر السابق ، م2 ، ص 292 .
[44] البلاذري، المصدر السابق، ص 172 .
[45] المصدر نفسه ، ص 153 ، 172 ، 369 ، المسعودي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 16 ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق. م 2 ، ص 266 .
[46] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م 2 ، ص 269
[47] البلاذري، المصدر السابق، ص 139 .
[48] اليعقوبي، المصدر السابق، م 2 ، ص 299 ، ياقوت الحموي، المصدر السابق، م 2 ، ص 416 .
[49] الطبري، المصدر السابق، ج 6 ، ص 530 – 531.
[50] ابن اعثم الكوفي، المصدر السابق، ج 7 ، ص 298 _ 307 حتي، المصدر السابق، ص 264 .

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

إضافة إلى أخطاء عسكرية ارتكبها قائد الحملة[51]مسلمة بن عبدالملك (ت 121هـ / 738 م)؛[52] مما دفع عمر بن العزيز (99_101 هـ/ 717_719م) الذي تولى الخلافة بعد سليمان إلى سحب الجيوش الإسلامية بعد خسائر فادحة بالأرواح والمعدات.[53]

ورأى بعض الدارسين[54] أن فشل الحملة كان نقطة تحول حاسمة في الصراع بين الأمويين والبيزنطيين، واضطر الخلفاء الأمويين إلى اتباع سياسة دفاعية خالصة.

رابعاً: الخطط الدفاعية للخلفاء الأمويين المتأخرين

أدى الفشل في فتح القسطنطينية إلى إحداث تغير نوعي في سياسة الأمويين تجاه البيزنطيين ابتداءً من خلافة عمر بن عبدالعزيز، وهو الذي طبّق مبدأ الدفاع على كل الجبهات حول البلاد الإسلامية، وفي هذا الإطار أوردت بعض الروايات ما يشير إلى تحول في نظرة عمر لسياسة الفتوح برمتها إذ قال: ((حسب المسلمين ما فتح الله تعالى عليهم))[55] مفضلاً الالتفات إلى نشر الإسلام بالوسائل السلمية وإصلاح شؤون الدولة الداخلية.

ولا تعني هذه السياسة تخلي عمر عن الحفاظ على الحدود الإسلامية قوية؛ بل إنه أولاها جُلّ عنايته، إذ عدت إقامته قرب معسكر(مرج دابق)[56] الذي اتخذه سليمان مقراً للإشراف على حملة القسطنطينية، وإقامته في(خناصرة)[57] جنوب شرق حلب كأنه في رباط، كما أنه عزز تحصينات الثغور مثل: (ملطية) التي أعاد لها القوات المرابطة في حصن (طرندة) [58] خشية تعرضه لغارات مفاجئة قد يشنها البيزنطيون. وعلى جبهة الثغور الساحلية أمر عمر بتقوية تحصينات (المَصيّصةَ)

[51] أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، بيروت، 1956 ، ص 189، وسام عبد العزيز فرج: العلاقات بين امبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن ميلادي، الإسكندرية،1981 ، ص 23 .

[52] الطبري، المصدر السابق، ج 6 ، ص 568 .

[53] حتي، المرجع السابق ، ص 264 .

[54] البلاذري، المصدر السابق، ص 415 ، الطبري، المصدر السابق، ج 6 ، ص 568 .

[55] اليعقوبي، المصدر السابق، م2 ، ص 301 ، ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2 ، ص 416 .

[56] المصدر نفسه، م2 ، ص 306 .

[57] إبن العديم، المصدر السابق، ص 115 .

[58] المصدر نفسه، ص 253 ، ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4 ، ص 32 .

ببناء مخازن للحبوب وصهريج ضخم للماء وتوسيع مسجدها، كما أمر قادة الفرق المرابطة فيها بألا يتجاوزوا بحركاتهم الهجومية إلى مناطق أبعد من منطقة طَرسوسَ .[59]

أما في زمن هشام بن عبدالملك (105_126 هـ / 723_743 م)، فقد أخذت وتيرة العمليات الهجومية منحاً تصاعدياً، وهو المشهور بالحزم والعناية الفائقة بالثغور على كل الجبهات؛[60] لذلك نجد بعض المصادر تتحدث عن أعمال عسكرية كثيرة على الجبهة البيزنطية بخاصة. ومن دراستها يمكن استنتاج أمور عديدة مثل:

1_فتح عدد كبير من الحصون أو إعادة فتحها مثل: (صُمالة) و(خرشنة) و(فرندة) و(سندرة) و(لؤلؤة) و(بلسنة) و(طوانة) وغيرها .[61]

2_ فتح عدد من التحصينات المشهورة بالمطامير مثل: (ماجدة) و(بلسنة) و(قونية) و(مقلوبية) وغيرها،[62] وهي عبارة عن كهوف محفورة في بطون الجبال والأودية، ولها مداخل ومخارج سرية، تستخدم لاختباء الجنود والسكان وتخزين المواد الغذائية والأعلاف. ولعل هذا يشير إلى فنون التحصين العسكري عند البيزنطيين وتنوع أنماطه المعمارية العسكرية القادرة على التخفي والتضليل.

3_ صعوبة القتال وشراسته؛ إذ كانت الجيوش الإسلامية تواجه مقاومة عنيفة من القوات البيزنطية والسكان[63]، وفسّر بعض الدارسين[64] هذه الظاهرة بنجاح البيزنطيين بجلب إعداد كبيرة من الصقالبة (البلغار والروس) وتوطينهم مع عائلاتهم بحصون الأناضول.

---

[59] البلاذري، المصدر السابق، ص 170 .

[60] ابن أعثم الكوفي، المصدر السابق، ج7 ، ص 310 .

[61] الطبري، المصدر السابق، ج7 ، ص 202 ، المسعودي، المصدر السابق، ج3 ، ص 217 ، 223 .

[62] الطبري، المصدر السابق، ج7 ، ص 160 ، 199 .

[63] ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت 272 هـ / 885 م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889 م، ص 108، إبن حوقل، المصدر السابق، ص 181 .

[64] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5 ، ص 148 ، لسترنج، المصدر السابق، ص 171.

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

4_ كثافة مشاركة أفراد الأسرة الأموية، وبخاصة أبناء الخلفاء، وفي مقدمتهم مسلمة بن عبدالملك[65] والعباس ابن الوليد بن عبد الملك[66] وسليمان بن هشام بن عبد الملك[67] وغيرهم، وفي قيادة المعارك على الجبهة البيزنطية. ويبدو هذا الأمر تقليداً تبناه الأمويون منذ أيام معاوية، ورسّخه هشام بن عبدالملك.

5_ بروز عدد من القادة العسكريين المتطوعين للقتال الدائم في الجبهات من أمثال: عبدالله بن الحسين الأنطاكي المشهور بالبطال ،[68] وغيره ممن ضربت بهم الأمثال بالشجاعة والإقدام، والإخلاص بالجهاد، الذي أصبح رمزاً للبطولة في أدب الملاحم والقصص الشعبي العربي والإسلامي لاحقاً.

وبعد وفاة هشام (126 هـ / 743 م) توقفت عمليات الغزو للأراضي البيزنطية؛ بسبب انشغال الأمويين بخلافاتهم واتساع حركة المعارضة ضدهم؛[69] مما سمح للبيزنطيين باستيراد أنفاسهم وانتهاز الفرصة لشن هجمات ضد مدن الثغور وتدمير بعضها مثل: (ملطية) و(الحدث) (مرعش) و (المَصّيصَة)، و لكن مروان بن محمد (126_ 132 هـ/ 743 _ 749 م) آخر الخلفاء الأمويين أعاد إعمارها بسرعة، وقوّى حامياتها ،[70] فظلت صامدة بوجه البيزنطيين حتى سقوط الدولة الأموية عام (132 هـ / 749 م)، لتبدأ مرحلة جديدة في الصراع مع البيزنطيين.

---

[65] فرج، وسام عبد العزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، 1982 ، ص 23 لويس، مرجع سابق، ص 107.

[66] العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982 ، ص 120 _ 123، العبد الغني، عبد الرحمن محمد، (الحدود البيزنطية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الآداب، رقم (11) الكويت ، 1990 ، ص 24.

[67] الطبري، المصدر السابق، ج7 ، ص 88.

[68] المصدر نفسه، ج7 ، ص 92 ، 93.

[69] المصدر نفسه، ج7 ، ص 99 ، 109 ، 113 ، 139 ، 160.

[70] البلاذري، المصدر السابق، ص 170، 192 ، 194 ، 209، ابن العديم، المصدر السابق، ص140 ، 157 ، 239، 247. الطبري، المصدر السابق، ج7، وما بعدها.

خامساً: الخاتمة

حاولت هذه الدراسة إظهار أهمية الأمويين ودورهم في مواجهة البيزنطيين في فترة تُعّد من أهم مراحل التاريخ العربي الإسلامي والعلاقات العربية البيزنطية، التي حكمتها ظاهرة الحرب المستمرة بين الطرفين.

وكشفت هذه الدراسة من هذا المنظور أن الأمويين لعبوا دوراً هاماً بسياساتهم الدفاعية والهجومية لحماية البلاد الإسلامية، وقد مرت سياساتهم بمراحل متتابعة من التغيير والتطوير بدأت بفكرة إعادة بناء وترميم أسوار المدن الثغرية وتعزيزها بالحاميات من المقاتلين النظاميين والمرابطين المتطوعين، ودعمها بالقوات الضاربة عند الحاجة.

وفي مرحلة تالية اعتمدت سياسة الأمويين على مبدأ الهجوم ونقل المعارك إلى أرض العدو من خلال الغزوات البرية والبحرية المتلاحقة، وفي مرحلة أخرى أضاف الأمويون إلى خططهم السابقة فكرة بناء حصون جديدة أمام مدن الثغور؛ لتكون خطاً دفاعياً أولياً عنها وشحنها بقوات النخبة العسكرية، وزودوها بكل المرافق اللازمة للمجاهدين والسكان.

واستنتجت هذه الدراسة أن ظاهرة الحرب المستمرة على الجبهة البيزنطية أثّرت في تكوين الجيش الأموي وطبعته بطابع الاحتراف العسكري؛ مما أهلّه للقيام بمهامه على أفضل ما يكون، وأن يؤدي دوراً في حماية الدولة وحدودها ومصالحها.

DOI:https://doi.org/10.21009/hayula.001.1.03

قائمة المصادر والمراجع:

ابن أعثم الكوفي، أبو محمد بن أحمد بن علي (ت 314هـ/926م)، الفتوح، ط1، دار المعارف، حيدر أباد الدكن، الهند، ب.ت.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن (ت 597هـ/1201م)، صفوة الصفوة، حققه محمود فاخوري، ط4، دار المعرفة، بيروت، 1986م.

ابن العديم، عمر بن أحمد (ت 660هـ/ 1261م): بغية الطلب في معرفة تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1988م.

ابن حوقل، أبو القاسم النُصيبي (367هـ/977م): صورة دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت 272 هـ / 885 م): المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889 م.

أسد رستم: الروم في سياساتهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت، 1956م.

الأصطخري، إبراهيم بن محمد (ت 321هـ/933م): مسالك الممالك، مطبعة برل، ليدن، ب. ت.

البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ/892م): فتوح البلدان، مراجعة وتحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

جب، هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة د. إحسان عباس وآخرون، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

جعيط، هشام، الفتنة: جدلية الدين والسياسة، ترجمة خليل أحمد خليل، ط4، دار الطليعة للطباعة.

حتي فيليب وآخرون: تاريخ العرب، ط7، دار غندور للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

خليفة بن خياط (ت 240 هـ / 854 م) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط 2 ، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، دار الكتاب العربي، مصر، 1967م.

الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

عبدالغني، عبدالرحمن محمد: (الحدود البيزنطية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الآداب رقم 11، الكويت، 1990م).

العريني، السيد الباز: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.

فرج، وسام عبدالعزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، 1982م.

قدامة بن جعفر (ت 328هـ/ 940م): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، 1981م.

لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس، كوركيس عواد ، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

لويس، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة 1960.

المسعودي علي بن الحسين (ت 346 هـ / 957 م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

المقري، نصر بن مزاحم (ت 212 هـ / 827 م): وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1962.

المقريزي، أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه: أيمن فؤاد، مؤسسة التراث الإسلامي، لندن، 2002م.

ياقوت الحموي، عبدالله (ت 626هـ/ 1218م): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1984م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (292هـ/ 905م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ب. ت.